قصة قصيرة

لا شلت يمينك

بقلم: خليل الصمادي
فلسطين

هيا يا شادي، ألا تريد أن تخرج اليوم .

– بلى كيف لا أخرج ؟ لقد اعتدت على ذلك !!

– ظننت أنك تعبت من مواجهات الأمس !!

– وهل الذي اشترك بالأمس يغيب اليوم ؟ إنه يوم مشهود يا حسن ها هم أولاء الأصدقاء قد حضروا كلهم .

ويخرج شادي مع أصدقائه في هذا اليوم العصيب، لقد أمروا شاديا عليهم لأنه أكثرهم شجاعة وحماسة .

عرفوا ضرباته القوية التي قلما تخطئ هدفها، وعرفوا ساعده القوي حتى ظن الصغار منهم أنه فولاذي !! وكثيرا ما كان أصدقاؤه يغبطونه على ذلك .

ففي بعض الأحيان كانوا – فيما بينهم – يبحثون عن السر العجيب !!

– ضربات شادي قوية !!

– قل ما شاء الله، بارك الله له في قوة يده.

– بارك الله له .. كم أتمنى أن تكون ضرباتي مثل ضرباته قوية .

– اللهم ارزقنا سواعد قوية كساعدي شادي .

– اللهم آمين، اللهم آمين .

كثير من الأصدقاء كان يسأل شادي عن السر في ذلك فكان يقول : هي هبة من الله سبحانه وتعالى ﴿ وما رميت إذ

رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾(الأنفال)، وكذلك أنا أتدرب كل يوم على سطح المنزل فعندي الكثير من الأعيرة الأسمنتية جعلتها في علب مختلفة الأحجام أقوم بالتدريب عليها بعد الانتهاء من واجباتي المدرسية، كما أنني مواظب في النادي على تدريبات اللياقة الجسمية، هل تحبون أن تصبح سواعدكم قوية، تعالوا معي بعد المواجهة إلى نادي المخيم .

هنيئا لك يا شادي فكم رأس من رؤوس الأعداء قد شججته بحجارتك القوية !!

وكم من زجاج سيارة من سيارات الأعداء قد حطمت !!

وكم نافذة من نوافذ المستوطنات قد كسرت !!

وكم برج من أبراج الحراسة قد دكتها حجارتك المباركة !!

حتى المقلاع في يدك له طعم آخر لأن ضرباتك تقع على جنود الاحتلال كالقذائف المرعبة فتفرقهم شذر مذر .

لقد عرف الأعداء مصدر هذه القذائف المرعبة فصاروا يحسبون لها ألف حساب صاروا يرتدون الملابس الواقية من ضرباتك وضربات أمثالك من الأبطال الميامين، حتى إنهم اخترعوا غطاء من الشبك ألصقوه بالخوذة المعدنية صار يتدلى على وجوههم كاللجام، خوفا من حجارتكم القوية، وحتى سياراتهم العسكرية وضعوا أمام زجاجها شبكا من الحديد حتى يتقوا ضرباتك وضربات من كان مثلك .

لقد أيقنت تماما قول رسول الله ﷺ حين قال : «ألا إن القوة الرمي » وعلمت أن القوة الفتاكة في حسن الرمي ودقة التصويب.

حتى النبيطة التي كنت تصنعها من أغصان الأشجار ومن بعض المطاط كأنها بندقية حديثة الطراز إذ كانت ترعب الجنود أشد الرعب، وقد ظن الأصدقاء أن النبيطات التي كنت تهديهم إياها ستصيب مواقع العدو كما كانت تفعل في يدك !!

هذا هو شادي وهذه هي يده المباركة !!

هنيئا لك، وبارك الله في السواعد القوية.

لم يغب يوما عن فعاليات الانتفاضة فكيف يغيب وهو الأمير ؟

وكيف تغيب هذه اليد التي كانت محط إعجاب الجميع ؟

كثيرا ما كان يسمع عبارات الثناء والإعجاب كلما رمى حجرا أو أطلق العنان لمقلاعه ليقتلع الشر من جذوره.

– أحسنت يا شادي، لقد أصبت الهدف بجدارة.

– لا شلت يمينك يا أخي.

– بارك الله فيك يا بطل .

– لقد أصاب حجر شادي رأس الضابط البغيض، وها هم يضعونه على نقالة .. إلى جهنم وبئس المصير .

– يدك فولاذية، أتمنى أن تصبح يدي مثلها .

– حسبكم يا جماعة قولوا ما شاء الله .

– خذ هذا الحجر يا شادي فإنه مسنن، سم الله وارمه .

لم يأبه شادي لكل المدح والثناء، وكلما سمع إطراء من هذا القبيل يقول : اللهم اجعلني خيرا مما يعلمون، واغفر لي ما لا يعلمون) .

صار حديث مخيم جباليا عن يد شادي القوية، وسرعان ما انتشرت أخبارها إلى غزة وخان يونس ورفح، حتى فتيان الضفة الغربية والقدس وصلتهم أخبارها، وصارت حديث المجالس، وقد بالغ بعضهم في وصفها حتى قالوا : إن ملائكة السماء تحركها !!

حتى الأعداء علموا بأخبار هذه اليد العجيبة وعرفوا مصدر إزعاجهم .

وأخيرا صدر القرار الأخير .

– صار شادي على قائمة المطلوبين، بل يده هي المطلوبة .

– أحضروه حيا مقطوع اليد أو ميتا!

صوبوا بنادقكم على يمينه .

هكذا صرخ القائد في جنوده، بعد أن تلقى الأوامر من القيادة العليا . انتبه يا شادي أرى النيران تتوجه نحوك أكثر من غيرك .. كن حذرا يا صديقي .

– اخفض رأسك يا أخي .

هكذا حذر الأولاد شاديا لأنهم رأوا شيئا لم يروه من قبل .

وفي لحظات سريعة صاح الأولاد : شادي شادي ماذا حصل لك ؟

– ماذا حصل ؟، لم يحصل شيء .

– بلى يا شادي ألا ترى الدماء تنزف من ساعدك الأيمن ؟

– نعم .. نعم، لقد أصبت يا أصدقائي، لم أشعر بذلك إلا الآن !! لولا تحذيركم ما شعرت .

وفي الحال حمل الأصدقاء شاديا وركضوا به إلى جانب الطريق وهناك أوقفوا سيارة ونقلوه إلى المستشفى .

اشتد الألم على شادي حتى غاب عن الوعي، وفي الحال أدخل إلى غرفة العمليات، اجتمع الأطباء حوله وقدموا له الإسعافات الأولية، ولكن الموقف عصيب، إذ إن الجرح غائر في يده، بل منتشر في جميع أجزائها، لم يكن كذلك وقت إصابته .

احتار الأطباء في وضعه، لم يجرؤوا على فعل شيء، اتصلوا بمدير المستشفى وأطلعوه على حالة شادي، حضر في الحال، حاول وحاول ولكن الوضع خطير، أحضروا اختصاصي العظام، وأخذ عددا من صور الأشعة واجتمع مع فريقه ودرسوا الوضع .

قال الطبيب المختص : لا بد من بتر يده، هذا هو العلاج الوحيد، المجرمون أطلقوا عليه عيارا ناريا من نوع « دمدم » الذي يتفجر وينتشر بعد حين في المكان الذي أصابه إنه محرم دوليا .

همس رئيس المستشفى:

– ولكن كيف سنخبره ؟ إن الموقف عصيب !!

رد طبيب الأشعة :

– لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا بد من إخباره وإخبار أهله وأنا سأخبره عندما يصحو من التخدير .

بقي الأطباء مجتمعين حول شادي يراقبونه وهم مشفقون على يده التي ستبتر بعد قليل .

صحا شادي من غفوته فرأى الأطباء حوله، وعلامات الغضب تعلو وجوههم، فسألهم عن السبب .

اقترب منه رئيس الأطباء وحياه قائلا :

– الحمدلله على سلامتك أيها البطل، كيف أنت الآن؟

– بخير والحمدلله ولكن يدي اليمنى تؤلمني ولا أستطيع حراكها .

– لا بأس عليك يا بني، عافاك الله، وردك إلى أهلك سالما غانما .

– ماالذي يحدث هنا ؟ لم أنتم مجتمعون حولي ؟

– من أجل علاجك يا شادي .

– بارك الله فيكم يا عماه، وبارك بكل من يسعف جريحا .

رد طبيب الأشعة :

– ولكن يا شادي ..

– ماذا ؟ قل تكلم ...

– لا ... يا بني، الحمدلله، رأسك لم يصب بأذى، وجسمك سليم معافى، لم تصب إلا يمناك يا شادي، ونحن هنا منذ أكثر من ساعتين نحاول علاجها، ولكن ...

– ولكن ماذا ؟ قل يا عماه .

– لا بد من قطعها يا شادي، وهذا هو العلاج الوحيد .

– ماذا تقول ؟!!!

– يا شادي كل شيء مقدر من الله ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة).

– ونِعْم بالله .. ونِعْم بالله .

نظر مدير المستشفى إلى وجهه فرأى الدموع تتساقط من عينيه، فقال له :

– أنت مؤمن يا بني، اصبر واحتسب!

رد شادي :

– لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حاول طبيب العظمية تخفيف المصاب عنه فقال:

– إن شاء الله سنركب لك يدا اصطناعية تساعدك على عمل أشياء كثيرة .

رد طبيب الأشعة :

– وستكون إن شاء الله قريبة من اليد الطبيعية .

جفت الدموع من عيني شادي وبدت الفرحة تعلو وجهه سألهم :

– وهل أستطيع أن أحمل بها الحجارة وأرمي جنود الاحتلال ؟!!.

رد الأطباء جميعا:

– نعم يا شادي تستطيع فعل ذلك .

صاح شادي بأعلى صوته :

– الله أكبر .. الله أكبر ...

الحمدلله.. الحمدلله.■